



رسالة فقيد الأمة للأمة

(مقتبسات من تصريحات مؤسس باكستان، القائد الأعظم محمد علي جناح رحمه الله تعالى)

تعريب: حفصة محمود غازي

أ- تمهيد (1):

إن مؤسس باكستان محمد علي جناح رحمه الله تعالى (1876م - 1948م)، الذي منحه المسلمون في الهند لقب "القائد الأعظم"، كان زعيماً فريداً من زعماء المسلمين في القرن العشرين، وكان بحق مفخرة للأمة الإسلامية في العصر الحديث. فكما قال شيخ الإسلام شبير أحمد العثماني رحمه الله، أحد كبار العلماء ومن رفاقه المقربين في حركة إنشاء باكستان، بمناسبة وفاته: "إن العالم الإسلامي لم يشهد قائداً فذاً ومجاهداً مخلصاً لعز الإسلام وخدمة مصالح المسلمين مثل محمد علي جناح منذ وفاة الملك المغولي المجاهد أورنگزيب عالمگیر رحمه الله" (1707م). فكان محمد علي جناح قد تمكن من إنشاء دولة إسلامية كبيرة على خريطة الأرض عن طريق حركة جمهورية سلمية استعمل فيها قدراته القانونية ومهاراته الدستورية وحججه السياسية القاطعة، حتى تغلب على خصومه بصدق القول وجزالة المنطق وبلاغة الكلام وإخلاص النية، إلى جانب الكفاح الدؤوب والتنظيم السياسي القوي والحذاقة الدبلوماسية الفائقة. فالأمة الإسلامية التي تعرضت لنكبات متتالية في معظم المعارك وتضاءلت جهودها في أكثر المواقع السياسية وأفلتت من تحنها أحسن الفرص والإمكانات للتقدم الاقتصادي والنهضة الثقافية والحضارية منذ القرن الثامن عشر تقريباً، لم تشهد مكسباً عظيماً تاريخياً للإسلام والمسلمين مثلما تحقق في صورة إنشاء باكستان ليلة 27 من شهر رمضان المبارك التي صادفت يوم 14 من أغسطس عام 1947م. ولا يخفى على كل من اطلع على تاريخ العالم الإسلامي في القرون الثلاثة الماضية أن الأخبار السارة والبشارات بالفتح

والنصر كانت قليلة نادرة لأهل الإسلام، إن لم تكن منعدمة تماما. ومن الاستثناءات في هذه الحالة المتدهورة والنكبات المتتالية التي ألمت بالأمة، قيام دولة عربية إسلامية عام 1926م في الجزيرة العربية بقيادة القائد المؤمن القوي الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله، قام بتأسيسها بالتعاون مع مجموعة متميزة من العلماء المصلحين، وأعلن التزامه الصريح بالشرعية الإسلامية واتخذ القرآن الكريم دستورا للمملكة العربية السعودية، وقد لقي الملك عبد العزيز رحمه الله ترحابا حارًا بين الأوساط الإسلامية في الهند وقدّم علماء الإسلام وزعماء المسلمين تأييدهم المادي والمعنوي لهذا الإعلان الصريح عن إقامة الحكم الإسلامي في الجزيرة العربية.

وبعد إحدى وعشرين سنة من ذلك، جاء نصر الله والفتح مرة أخرى وذلك في تمكن المسلمين في الهند من إقامة دولة إسلامية مستقلة، وهي جمهورية باكستان الإسلامية التي أعلنت مقاصد إقامتها في قرار دستوري تاريخي واضح عرف بـ "قرار المقاصد" (وقد سبق نشره على صفحات هذه المجلة)⁽²⁾.

وهذا الإنجاز التاريخي لمسلمي الهند، الذي تحقق خلال سبع سنين من المطالبة الرسمية بإنشاء باكستان (في مارس 1940م) وبداية الكفاح الشعبي العام بقيادة محمد علي جناح رحمه الله تعالى - يزداد أهمية وثقلا في ميزان التاريخ حينما نرى أن الاستعمار الغربي بقيادة المستعمر البريطاني كان عكوبا على تمزيق الأمة الإسلامية وتشتيت صفوفها منذ مطلع القرن العشرين. فكانت أولى النكبات وأضرها على وحدة الأمة، هي إلغاء الخلافة الإسلامية في مارس 1924م نتيجة لمؤامرات ودسائس واعتداءات، سرا وعلانية، استمرت منذ مدة طويلة ضد هذا المركز السياسي والحضاري والديني والروحي لأبناء الأمة، الذي كان قائما في مدينة إستانبول، المدينة الإسلامية المباركة التي بشر بفتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته الطيبة قبل أكثر من ثمانية قرون من فتحها على يد السلطان محمد الفاتح رحمه الله تعالى. فكان العالم الإسلامي يمرّ بسلسلة من التمزيق والتفريق منذ بداية القرن العشرين، وكل ذلك كان يجري بالتواطؤ مع السفهاء من الناس ممن نصبوا أنفسهم على قيادة المسلمين بزعمهم. وقد حلت هذه الكارثة الكبرى بأهل الإسلام من إندونيسيا إلى المغرب باسم الحركة القومية العلمانية التي غرس شجرتها الخبيثة "الارنس آف عربيا" وحلفاؤه، وانخدع بفتنته كثير من حكام المسلمين وقادتهم، عربهم وعجمهم، اللهم إلا هذا القائد العظيم محمد علي جناح وسلفه العبقري الحكيم محمد إقبال رحمهما الله تعالى، فقد نبّه كل منهما المسلمين

-2 انظر: "مزايا إسلامية لدستور جمهورية باكستان الإسلامية"، الدراسات الإسلامية، المجلد 48، العدد 2، إبريل -

يونيو 2013م، ص 203.

قاطبة ومسلمي الهند خاصة وبصوت واضح، أن "النظرية القومية" القائمة على أساس استيطان التراب واحتكار الوسائل المادية والانحصار في "المنظومة الأثنية" (Ethnic) الضيقة، إن هي إلا عقيدة باطلة خارجة على الإسلام ناتجة من إيجاء الشيطان ما أنزل الله بها من سلطان. فإنجاز محمد علي جناح وعظمة هذا الرجل العظيم يكمن في أنه استطاع إبطال هذه النظرية القومية فكرا وسلوكا وسياسة، وانتزع من القوتين الكبيرتين اللتين كانتا تتحكمان في أمور الهند، وهما: الاستعمار الإنكليزي والهندوس الحاملين لواء القومية الهندية، دولة مستقلة كبيرة، لا على أساس النظرية القومية العلمانية، بل إنما فعل ذلك على أساس النظرية الإسلامية للسياسة والحكم. وقد حقق محمد علي جناح هذا المطلب بالتأييد العام من الشعب الهندي المسلم عن طريق الانتخابات الجمهورية العامة التي عقدت في الهند في مارس 1946م ونادى المسلمون بصوت واحد بحق المسلمين في الهند في تقرير مصيرهم وإقامة حكمهم المستقل على أساس دينهم.

إن حياة هذا الرجل الفذّ العبقرى النادر والقائد الشجاع المبادر إلى إنقاذ المسلمين من العبودية والذل والخداع والغل الذي كان يمرّ به المسلمون منذ أن غضب المستعمر البريطاني (قبل تسعين عاما تقريبا) ملكهم الشامخ ودولتهم العريقة (التي دامت ألف عام وازدهرت عبر عدة مراحل من التطور والرقى)، لحي حريّة بأن يعتني بها علماء الإسلام وقادة المسلمين في الوقت الراهن، ففي حياته وأعماله وحكمته العملية الموفقة دروس وعبر لمن تأمل فيها واعتبر، وتعمق في دروس التاريخ واختبر. إن نظرية محمد علي جناح السياسية المستفادة من تعاليم الإسلام، المتمثلة في القرآن العظيم وسنة الرسول الكريم، ورسالته الاجتماعية ومواقفه الشجاعة وتدبيره الحكيمه وتصريحاته الصادقة المفعمة بالروح الإسلامية، كما تتجلى في المقتبسات الآتية من خطبه السياسية، لها منها عليها شواهد.

إن القائد الأعظم محمد علي جناح رحمه الله تعالى كان كثيرا ما يلقي أهل باكستان بالالتزام بالمبادئ الثلاثة الآتية في حياتهم:

(1) اتحاد؛ و (2) يقين؛ و (3) تنظيم.

فكان رحمه الله يرى أنه إذا ما التزم فرد أو مجموعة بهذه المبادئ فلن يحول قوم دون وصولها إلى غاياتها النبيلة بنجاح عاجلاً أو آجلاً. كما أن حياته السياسية كزعيم المسلمين في الهند، وسيرته العامة بصفته محاميا محترفا وخطيبا بارعا وعضوا فعّالا في المؤسسات السياسية والتشريعية، تتجلى في جميع هذه النواحي، التزامه الشخصي بهذه المبادئ الثلاثة المذكورة التي كان يدعو إليها ويطبقها على نفسه قبل دعوة الآخرين إليها.

ويسرنا أن نقدم أمام القراء مقتبسات مختارة من بيانات وتصريحات القائد الأعظم محمد علي

جناح رحمه الله، التي اخترناها من منشور أعده المؤرخ الباكستاني المعروف الأستاذ شريف المجاهد حفظه الله، بالتعاون مع البروفيسور ستين لي وولبرت (Stanley Wolport)، المؤلف الأمريكي المشهور الذي كتب عن حياة القائد الأعظم كتاباً بعنوان: *Quaid-i-Azam Jinnah of Pakistan* فنحن نشكرهما على هذا التأليف كما نشكر الأستاذ المحامي لياقت مرجنت حفظه الله، حفيد القائد الأعظم، الذي أشرف على نشر هذا الكتاب القيم باللغة الأردية بصورة أنيقة وقام بتوزيعه مجاناً على نفقته الخاصة لإبلاغ رسالة القائد إلى شباب باكستان. ولا يفوتني في نفس الوقت أن أشكر الطالبة العزيزة حفصة زينب غازي حفظها الله ورعاها، طالبة السنة الأخيرة ببرنامج البكالوريوس (الشرف)، قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد، التي قامت مشكورة بترجمة هذه المقتسبات من الأردية إلى العربية، فجزاها الله تعالى خيراً عن المجلة.

ب- مقتسبات من تصريحات القائد الأعظم رحمه الله عليه:

نصيحة لطلبة العلم:

قال القائد الأعظم مخاطباً الطلاب في كلمته للشعب في دُهاك (باكستان الشرقية): "أصدقائي الشباب، أيها الطلبة الأعزّاء الحاضرون هنا اليوم! أود أن أنصحكم بكل إخلاص وصدق، أنصحكم باعتباري شخصاً يكنّ في قلبه المحبة والمودة لكم دائماً، والذي طالما عاش في خدمتكم بكل وفاء وصدق وإخلاص، وقد بذل لكم كلّ ما في وسعه خلال السنوات العشر الماضية، نصيحتي لكم أن تحذروا كل الحذر من الأحزاب السياسية وتجنبوا كل التجنّب من أن تصيروا ألعاباً في أيديها توجهكم حيث تشاء، ولو فعلتم ذلك لأخطأتم خطأً كبيراً. بل وجهوا كل اهتمامكم وتركيزكم على الدراسة وطلب العلم. فهو الطريق الوحيد الذي تنصفون به مع أنفسكم ووالديكم وقومكم وبلدكم".

(٢١ مارس، عام ١٩٤٨ م)

الجمهورية والمساواة والحرية: عقائد إسلامية:

"إن طريق الحكم الجمهوري يجري من المسلمين مجرى الدم؛ فالمؤمنون يؤمنون بالحرية الكاملة بين الناس كافة، كما يؤمنون بالأخوة والمساواة والحرية للناس أجمعين".

(خطاب في اجتماع عام في لندن، ١٤ ديسمبر ١٩٤٦ م)

أخطار التعصب القومي والإقليمي:

قال القائد الأعظم مخاطباً لاجتماع شعبي في دُهاك (باكستان الشرقية): "ما الذي نستفيد من

مقولتنا: نحن بنغاليون أو نحن پنجابيون أو بھاران أو سنديون؟ لا ينبغي أن نقول هذا أو نعتقد ذلك. إنما نحن مسلمون. لقد علمنا الإسلام أنه مهما كنا فإننا مسلمون أولاً وقبل كل شيء، وأعتقد أنكم جميعاً تتفقون معي في هذا القول. إنكم جميعاً تنتمون إلى ملة واحدة، وقد حصلتم لأنفسكم هذه القطعة الواسعة من الأرض، وهي كلها ملك لكم، فهي ليست ملكاً للبنغاليين أو البنجابيين أو السنديين، وإنما هي ملك للمسلمين. لا شك أن التعصب القبلي لعنة ومرض، ومثل ذلك مرض التعصب والفرقة بين الشيعة وأهل السنة.

إن الحكومة التي كانت تحكم هنا قبل هذا ما كانت تهتم بهذه الأمور، لأنها أمور لا تهمها وليست من شأنها أن تهتم بها. فقد كان غرضها من الحكم أن تقيم الأمن والأمان فتشيد قاعدة لتجارتها وتستعمر بلاد الهند بقدر الإمكان، وهي نجحت في ذلك، كما واجهت بعض المشكلات، ولكننا نواجه مشاكل أخرى مختلفة عنها تماماً. ولا بد أن لا ننسى أن أقوامهم كانت موجودة من قبل، ولا شك أنها أقوام عظيمة، ولكنكم ليس بيدكم شيء، وهذه الأرض (باكستان) قد حصلتم عليها حديثاً. الفرنسي كان يستطيع من قبل أن يفتخر بانتائه إلى فرنسا التي يزعم أنها من الأقوام العظيمة. ولكن ما الذي حصل؟ وما الفائدة من هذا؟

لذا أنا أرجو منكم أن تبدوا سم التعصب القبلي والإقليمي، لأنكم لن تستطيعوا أن تصيروا من الأقوام الكبيرة والعظيمة طالما استمر هذا السم أو المرض يجري في سياسة بلدنا باكستان، ولن نستطيع إذاً أن نحصل على ما نعتقد أننا سنحصل عليه في المستقبل."

(٢١ مارس ١٩٤٨ م)

حقوق الأقليات غير المسلمة:

قال قائدنا في مؤتمر صحفي في دهلي: "إن الأقليات ستمنح لها كافة حقوقها ولن يفرق بينها من حيث انتنائها لمذهب دون مذهب أو فرقة أو جماعة دون غيرها. وسيوفر لها الأمن الكامل والحماية التامة لنفسها ومالها وحريتها ودينها وعقيدتها ومذهبها. وستمنح الحرية التامة لممارسة عبادتها وشعائر دينها ولن يتدخل فيها أحد. وستكون هذه الأقليات من مواطني دولة باكستان بكل معنى الكلمة، ولن يتم التمييز أو التفرقة بينها وبين غيرها، لا على أساس الدين ولا على أساس الطبقات الاجتماعية ولا غير ذلك من الاعتبارات."

(١٤ يوليو، عام ١٩٤٧ م)

القرآن الكريم أساس الحياة ودستورها:

قال القائد الأعظم في رسالة موجهة إلى الشعب في يوم العيد: "لا شك أن الجميع، ماعدا الجهلة، يعلمون أن القرآن الكريم هو أساس حياة المسلمين، وفيه مجموعة القوانين الكاملة التي تضبط حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية والقضائية. والقرآن يعطي أصولاً تضبط كل شؤون حياة المسلم من عباداته وشعائره الدينية إلى أمور حياته اليومية. فأحكام القرآن الكريم شاملة لكل ما يواجهه الفرد المسلم من أخلاقيات وثواب وعقاب، في الدنيا أو في الآخرة، وهو يمنح كافة الحقوق، فردية كانت أم جماعية، وهو يعالج كل الأمراض، روحية كانت أم جسدية، كل ذلك يشمل القرآن الكريم. وقد أمرنا الرسول عليه الصلاة والسلام أنه يجب على كل مسلم أن يكون لديه مصحف حتى يهتدي بنوره ويكون معلم نفسه بنفسه بأخذ الهداية منه. لذا فالإسلام ليس محصوراً في مجموعة شعائر دينية وعقائد وعبادات فحسب، وإنما هو يشمل على مجموعة الأسس والقوانين التي تنظم حياة الفرد والمجتمع المسلم وتضبطها".

(٨ سبتمبر ١٩٤٥ م)

ملاءمة الفكر الاقتصادي الإسلامي لباكستان:

"إن النظريات والأفكار الاقتصادية الغربية لن تفيد في إصلاح أحوال عامتنا وتحسين أوضاعهم، فعلينا أن نبني اقتصادنا على أساس أفكارنا وطريقتنا الخاصة. ويجب أن نقدم أمام العالم النظام الاقتصادي الإسلامي المبني على نظرية المساواة الإسلامية الحقيقية، والعدل الحقيقي بين الناس بكل معنى الكلمة".

(كلمة القائد بمناسبة افتتاح البنك المركزي الباكستاني، كراچی ١ يوليو ١٩٤٨ م)

الحرية والمساواة:

قال القائد في خطابه للمجلس الدستوري الباكستاني في كراچی: "أنتم أحرار، ولكم الحرية في أن تذهبوا إلى مساجدكم أو كنائسكم أو أي معابد أخرى لكم في هذه الدولة. إن الدولة ليس من شأنها أن تتدخل في ذلك ولا يخصصها انتهاؤكم إلى ديانة أو فرقة معينة. نحن نؤمن بمبدأ المساواة، فكلنا مواطنو دولة واحدة، ولنا حقوق متساوية. وإن تقدمنا إلى الأمام يتحقق مع هذا المبدأ، وستنتهي مع مرور الزمن التفرقة بين الهندوسي والمسلم. لا أعني على أساس الدين والعقيدة، فكل واحد له شأنه في ذلك، وهو حر فيه. وإنما أريد بذلك التفرقة بالمعنى السياسي حيث أننا سنكون متساوين في كوننا مواطنين لدولة واحدة".

(١١ أغسطس ١٩٤٧ م)

الاهتمام بالفقراء ومساعدتهم:

"إن من الواجب عليكم الاهتمام بالفقراء ومساعدتهم. ولو لم أشعر بهذا الواجب لما تحملت كل هذه التكاليف والمشاق خلال السنوات العشر الماضية. علينا أن نوفر للفقراء عيشة أرقى وأحسن وأسعد لهم. والواجب علينا أن لا ننتهج سياسة تنتج غنى الأغنياء أكثر فأكثر، وهذا لا يعني أننا نريد أن نقطع شيئاً من جذوره وننهيه، ولكننا بلا شك نستطيع أن نعطي كل واحد حقه بالطريقة المناسبة".

(٢٧ رمضان ١٣٦٦هـ)

رسالة إلى الباكستانيين:

"أدوا واجبكم واعملوا بكل أمانة وإخلاص، وكونوا أوفياء للدولة الباكستانية. وأنا أومن بأنه لا شيء في هذه الحياة أعلى من ضمير الإنسان. وعليكم أن تؤدوا ما عليكم من واجبات بصدق وإخلاص، كي تستطيعوا أن تفتخروا بأنفسكم، عند الرجوع إلى رب العالمين، على قيامكم بواجبكم بكل أمانة وإخلاص ووفاء".

(خطاب للضباط المدنيين البلوچيين، سبي، ١٤ فبراير ١٩٤٨ م)

الأمن والأمان في الدولة:

"ألا إن توفير الأمن والأمان للجميع شرط أساسي لكل نوع من أنواع التطور والتقدم الإنساني. والأصول والقواعد الإسلامية الأساسية تفرض على كل مسلم أن يحافظ على دماء جيرانه وأموالهم، ويوفر الحماية الكاملة للأقليات غير المسلمة من غير تفرقة أو تعصب في الدين أو المذهب أو القوم".

(خطاب في الساحة الجامعية بلاهور، ٣٠ أكتوبر ١٩٤٧ م)

حاجة باكستان إلى دستور إسلامي جمهوري:

"إن المجلس الدستوري الإسلامي عليه أن يضع دستوراً للدولة. أنا لا أدري ماذا ستكون صورته النهائية، ولكنني متيقن بأنه سيكون دستوراً جمهورياً مبنيًا على الأصول الإسلامية الأساسية، الأصول التي يمكن تطبيقها اليوم كما أمكن ذلك قبل ألف وثلثمائة عام. وروح الدين الإسلامي هي التي علمتنا درس الجمهورية، وهذه الأصول الإسلامية هي التي علمتنا درس المساواة الإنسانية والعدل والحيادية التامة. ونحن عند وضع الدستور المناسب لدولتنا يجب أن نضع أماننا مجدداً التليد الذي ورثناه.

إن باكستان لن تكون دولة كهنوتية يحكمها رجال الدين. إنها دولة يسكنها عدد من غير المسلمين من الهندوس والمجوس والنصارى وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، ولكنهم كلهم من أهل باكستان. وكل هؤلاء ستوفر لهم حقوقهم مثل غيرهم من المسلمين الباكستانيين، ولهم الحق في القيام بدورهم في خدمة دولة باكستان".

(خطاب موجه للأمريكان عن طريق الراديو، فبراير ١٩٤٨م)

حماية حقوق الأقليات غير المسلمة:

"إن هذه الأقليات ستوفر لها كافة حقوقها، ولا شك أنها ستكون مسؤولة عن واجبها من حيث كونها مواطنة للبلاد. وبهذا تكون هذه الأقليات قد أدت ما عليها من واجب تجاه الدولة. وإذا كانت هذه الأقليات وفيه وأمينه تجاه البلاد، فلا حاجة للشعور بالخوف أو الخطر من شيء".

(مؤتمر صحفي بدلهي، ١٤ يوليو ١٩٤٧م)

حماية دولة فلسطين:

"لقد ثارت عواطف المسلمين على مشكلة فلسطين. وأنا أعلم أن المسلمين لن يتوقفوا عن تضحية كل ما لديهم في سبيل مساعدة العرب الذين يجاهدون لنيل حريتهم. إنكم تعلمون أن العرب الذين يجاهدون لنيل الحرية لأنفسهم ولوطنهم قد أطلق عليهم اسم الإرهابيين والمجرمين، وهم يعانون كل أنواع الظلم والاستبداد. ولكن كل شعب أو قوم يستحق البقاء على وجه الأرض؛ ولن تستطيع الحصول على شيء إلا إذا قدمت مثل هذه التضحيات التي يقدمها شعب فلسطين اليوم. وكل حيننا ومودتنا مع هؤلاء الشهداء الذين استشهدوا في الجهاد ضد الذين غصبوا أرضهم وديارهم؛ ولا شك أن هؤلاء يعانون أسوأ أنواع الظلم والجور".

(خطاب رئاسي للاجتماع السادس والعشرين لحزب الرابطة الإسلامية لعموم الهند، ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨م)

حقوق النساء:

"إن أية أمة من الأمم لا تستطيع أن تبلغ أوج عظمتها وازدهارها إلا إذا وقفت نساؤها جنباً إلى جنب مع الرجال وأبناء الأمة. إننا نحن اليوم قد وقعنا في تقاليد وأعراف مذمومة. وهذه جريمة ضد الإنسانية أن تبقى نساؤنا محصورات داخل بيوتهن. ولا أعني بذلك أن نقوم بتقليد الغرب في الأعمال الذميمة التي يرتكبونها. ولكن علينا أن نرفع مكانة النساء ومنزلتهن حسب نظريات الإسلام وأصوله. فليس هناك تبرير للأحوال السيئة التي تعيشها نساؤنا اليوم. فمن الواجب عليكم أن تصاحبوا النساء وتوقفوهن إلى جانبكم في كل مجال من مجالات الحياة، وهذا بلا شك ممكن مع الابتعاد عن مساوئ المجتمع الغربي".

(خطاب في اتحاد الجامعة الإسلامية بـ: علي گڑھ، ١٠ مارس ١٩٤٤م)

باكستان ليست دولة مذهبية:

"إننا نحن مشتملون على أكثرية مسلمة، نتبع الطريق الذي أرشدنا إليه رسولنا الكريم عليه

الصلاة والسلام. ولكن ينبغي أن لا يتبادر إلى أذهاننا من ذلك أن بلادنا هذه دولة كهنوتية. إن الإسلام قد علمنا طريق الإحسان إلى الديانات الأخرى. ونحن نرحب بالعمل مع أصحاب الديانات الأخرى ما داموا مستعدين لأداء واجبهم تجاه الدولة كمواطنين لها بكل وفاء".

(خطاب إلى شعب أستراليا عن طريق الراديو، ١٩ فبراير ١٩٤٨ م)

المسلمون ملة واحدة (١):

"إن المسلمين أمة واحدة وقوم واحد بكل الاعتبارات، من أية ناحية قمنا بتعريف هذا اللفظ. فالمسلمون أمة واحدة ومن حقهم الحصول على وطن وأرض ودولة خاصة بهم. إننا نريد العيش في بلادنا الحرة مع جيراننا بكل أمن وأمان. ونريد أيضا أن نقيم حياتنا الروحية والثقافية والاقتصادية على أسس أسمى لحياتنا، موافقة لنظرياتنا وأفكارنا ومطابقة للمعايير الفكرية لشعبنا".

(خطاب رئاسي للاجتماع السابع والعشرين لحزب الرابطة الإسلامية لعموم الهند، ٢٢ مارس ١٩٤٠ م)

المسلمون ملة واحدة (٢):

قال القائد، ردا على تصريح غاندي الذي قال فيه أنه لا يجد مثلا في التاريخ أن ادعى جيل بعد تغيير دين آباءه وأجداده أنهم أمة مستقلة عن أمة آباؤهم وأجدادهم: "نحن نؤكد بأن الهندوس والمسلمين أمتان في شبه القارة بأي اعتبار نظرتم. نحن أمة تشتمل على مائة مليون فرد، لنا ثقافتنا، ولنا لغتنا، ولنا حضارتنا ولنا أفكارنا ونظرياتنا. لنا أسماء مختلفة ووجوه هذه التسميات مختلفة، أيضا عن غيرنا من الأمم، فالمسلمون لهم دينهم وقيمهم ومبادئهم وأخلاقهم وقوانينهم وعاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم ومجدهم وحتى تقويمهم. والخلاصة أن طريقتنا في الحياة تمتاز عن غيرنا من الأقوام والملل. ونحن قوم وأمة بكل معنى الكلمة".

(١٧ سبتمبر ١٩٤٤ م)

واجبات الجيش الباكستاني:

"إن بقاء الأفضل هو القانون الأساسي للفطرة، فعلينا أن نثبت أحقيتنا وقابليتنا للحرية التي حصلنا عليها آنفا. إنكم خضتم حروبا ومعارك عديدة في شتى بقاع الأرض البعيدة للحفاظ على الجمهورية وحماية المعمورة من خطر الفسطائية المرعب والرهيب. والآن عليكم حماية القيم الأخلاقية الإسلامية والجمهورية والمساواة والعدالة الإسلامية وتطويرها وتنميتها في أرضكم المباركة. والواجب عليكم أن تكونوا على يقظة واستعداد في كل حين ووقت، فلم يأت بعد وقت الراحة والنوم. ولا شيء في هذا الكون يستحيل الحصول عليه وفي إمكانكم الفوز فيه إن عملتم بكل إيمان ويقين وبكل وفاء وصدق وإخلاص".

(٢١ فبراير ١٩٤٨ م)

الأخوة والمساواة والحقوق الإنسانية:

"إن الأخوة والمساواة والحقوق الإنسانية هي من الأصول والمبادئ الأساسية لدينا وثقافتنا وحضارتنا. وقد بذلنا كل جهودنا وتحملنا المشاق في سبيل الحصول على دولتنا باكستان، لأننا وجدنا أن الحقوق الإنسانية في شبه القارة كانت في خطر شديد".

(خطاب في اجتماع عام، چناگانک (الباكستان الشرقية)، ٢٦ مارس ١٩٤٨ م)

الإسلام والأقار الجهورية:

"إن الإسلام ومثله العليا هي التي علمتنا درس الجهورية. والإسلام هو الذي علمنا المساواة البشرية والعدل والمعاملة الحياوية مع جميع البشر. فما سبب الخوف من معاملة الناس معاملة الأمانة والحياوية التامة مع الجميع على أساس الجهورية والمساواة والحرية البشرية؟ هيا بنا لنضع دستوراً لباكستان وثبت صحة مبادئنا أمام الإنسانية قاطبة".

(خطاب لنقابة المحامين، ٢٥ يناير ١٩٤٨ م)

واجبات الشعب نحو دولة باكستان:

"أرحب كل الترحيب بقولكم أنكم لا تؤمنون بالتعصب القبلي والإقليمي. إن من الواجب عليكم أن تتعلموا كيفية التمييز بين محبتكم تجاه الإقليم الذي تنتمون إليه ومحبتكم تجاه الدولة وواجباتكم نحوها. فواجباتنا تجاه الدولة تقتضي أن نتقدم خطوة إلى الأمام لنبد التعصب الإقليمي، وذلك يتطلب منا تصوراً أوسع وحبا أكبر للوطن العزيز. وواجباتنا تجاه الدولة تقتضي في أكثر الأحيان أن نضم مصالحنا ومصالح إقليمنا إلى المصالح الاجتماعية للدولة ونقدمها على غيرها من الاعتبارات، ولا شك أن مصالح الدولة لها الأولوية في كل الأحوال. وتأتي بعدها واجباتنا تجاه إقليمنا أو مدينتنا أو قريتنا التي ننتمي إليها وحتى واجباتنا تجاه أنفسنا".

(خطاب في الكلية الإسلامية، پشاور، ١٢ إبريل ١٩٤٨ م)

نحن مسلمون وباكستانيون أولاً وآخرًا:

"أود أن أهدركم من الأخطار التي مازالت تهدد باكستان. إن أعداء باكستان لم يستطيعوا أن يمنعوننا من تأسيس دولة باكستان، فوجهوا همهم إلى بث العداوة والحقد بين المسلمين للإضرار ببلادنا الكريمة. وهذه المحاولات تظهر في الغالب في شكل تشجيع التعصب الإقليمي والقبائلي. وأنتم

لا تستطيعون أن تصجوا أمة حية نشيطة بكل معنى الكلمة حتى تبعدوا هذا السمّ القاتل عن سياستكم. وفي موقفنا هذا لا يجوز الحديث والإصرار على موضوعات البنغالي والسندي والبلوچي والپنجابي والپٹھان. لا شك أن هذه هي وحدات أساسية تتكون منها بلادنا. ولكنني أريد أن أسألكم: هل نسيتم ما تعلمتم قبل ألف وثلاثمائة عام؟ وأود أن أذكركم أنكم جئتم إلى هذه البلاد من الخارج. من هم سكان البنغال الابتدائيين؟ هم ليسوا بهؤلاء الذين يسكنونها الآن. فما فائدة قولنا بأننا بنغاليون أو سنديون أو پنجابيون أو پٹھان؟! بل الحق هو أننا كلنا مسلمون".

(خطاب في اجتماع عام، ڈھاکہ، ۲۱ مارس ۱۹۴۸م)

نظرية باكستان (۱):

"إن بقاءنا وتقدمنا متوقف على إنشاء باكستان. ونحن نستطيع الفوز في هذه المعركة عن طريق العمل الجماعي المنظم والوحدة الكاملة. ولن نتوقف عن تقديم أي تضحية في سبيل الحصول على هذه الغاية. وفي المستقبل لن نقبل أي دستور قائم على أساس الهند المتحدة".

(رسالة بمناسبة اليوم الوطني، ۲۳ مارس ۱۹۴۵م)

نظرية باكستان (۲):

"إننا سنحصل على دولتنا باكستان بأية قيمة أو ثمن. سنعيش لها وسوف نموت في سبيلها. إن المسلمين اليوم بحاجة ماسة إلى بذل أقصى الجهود للعيش بعزة ووقار. فلهذا اجتهدوا واجتهدوا! وبذلك سوف تستطيعون أن تزيدوا من عزة ووقار لملايين المسلمين الذين يسكنون الهند والذين يستحقون ذلك، بل ويكون لكم دور في إنشاء باكستان التي سوف يطبق فيها المسلمون نظرية الحكم الإسلامي وطريقته".

(خطاب في اجتماع عام، مردان، ۲۴ نوفمبر ۱۹۴۵م)

نظرية باكستان (۳):

"إننا إن أردنا أن نرى دولتنا باكستان آمنة مطمئنة فعلينا أن نهتم بالشعب وخاصة بفلاح الفقراء والمساكين في الدولة. إن كل واحد منكم مواطن لهذه البلاد أولاً وأخيراً بدون أي اعتبار باللون والنسل والمذهب، ولكم جميعاً حقوق وواجبات متساوية".

(خطاب للمجلس الدستوري، باكستان، ۱۱ أغسطس ۱۹۴۷م)

نظرية باكستان (۴):

"إن باكستان التي كنا نبذل كل جهودنا من أجلها صارت اليوم بفضل الله ورحمته حقيقة

لا تنكر. ولكن إنشاء دولة كان وسيلة لغاية أخرى ولم تكن غاية في حد ذاته. فالغاية الحقيقية من وراء ذلك كانت هي الحصول على وطن نستطيع فيه أن نشم فيه رائحة الحرية ونشعر بها، وطن نعمره ونطوره بحسب نظرياتنا وأفكارنا وديننا، وطن نرفع فيه راية العدل والحيادية والقسط الإسلامي".

(خطاب موجه لضباط الحكومة وضباط الجيش، كراچی، ۱۱ أكتوبر ۱۹۴۷م)

نظرية باكستان (۵):

"إن النظريات الأساسية للتقدم والتطور الإنساني، ونظريات العدل والمساواة الإنسانية والأخوة التي كانت الأسباب الأساسية لإنشاء باكستان، هي النظريات التي تضمن تشكيل النظام المثالي لدولة باكستان. وأنا أصر كل الإصرار على أن إنشاء دولة باكستان قد دخل حيز الإمكان لشعورنا بخطر هلاك الروح الإنسانية في نظام الهند القائم على أساس التفرقة العنصرية للون والنسل. وتلك الروح المقيدة صارت حرّة اليوم، تستطيع العيش في أجواء الاستقلال والتمتع بحرية تامة، كما تستطيع هذه الدولة أن تبعث الحيوية والنشاط في الأمة والقوم عن طريق حرية الرأي والتعبير والعمل".

(خطاب في اجتماع عام، چٹاگٹ، ۲۶ مارس ۱۹۴۸م)

نظرية باكستان (۶):

"... تذكروا دائما أننا بصدد إنشاء دولة تقوم بكامل دورها لأجل تغيير هيئة العالم الإسلامي. ولذلك الهدف نحرض على سعة النظر والخلو من أمراض التعصب الإقليمي والقومي والنسلي وغير ذلك. إننا بحاجة إلى محبة الوطن، المحبة التي تجعلنا قوما موحدًا شجاعا. وبهذا الطريق فقط نستطيع أن نحقق هدفنا الذي قدم من أجله ملايين المسلمين تضحيات عظيمة".

(خطاب في الجامعة الإسلامية، پشاور، ۱۲ إبريل ۱۹۴۸م)

نظرية باكستان (۷):

"... إن الجانب الثاني والأهم لدولة باكستان، هو أن هذه البلاد ستكون نقطة البداية لتطور المسلمين ونشأتهم الثانية. إننا سنشكل طائفة من النبغاء في مجالات التعليم والاقتصاد والعلوم الطبيعية والطب والهندسة والتكنولوجيا، ونربّهم ونعلّمهم، ونجعلهم مستعدين كل الاستعداد لبذل جهودهم لتقدم العالم الإسلامي ونشأته الثانية. وهؤلاء النبغاء سوف ينتشرون في بلدان الشرق الأوسط وغيرها من البلدان الإسلامية ويعملون على إحياء ونهضة أبناء دينهم. وبلدان الشرق الأوسط سوف يتحد بعضها مع بعض اتحادا قويا، وسيقيمون نظاما جديدا، لا شيوعيا ولا رأسماليا وإنما نظاما قائما على الاشتراكية بكل معنى الكلمة".

(Quaid-e-Azam As Seen By His Contemporaries من تأليف جميل الدين أحمد)

سياسة التعليم وبناء الشخصيات:

"إننا إذا أردنا أن نتقدم ونتطور في الحياة تطورا حقيقيا وسريعا، فإن علينا أن نبني برنامجا للتعليم في بلادنا على أسس مناسبة لمستوى الفكر والمواهب لدى الشعب، مطابقة لتاريخنا ومجدنا ومتجاوبة كذلك مع التغيرات الكبيرة التي تطرأ على العالم الحديث. علينا أن نحرك عامتنا للعمل الجاد على بناء شخصيات الأجيال القادمة. ومن الواجب علينا أيضا أن نحيي في الأجيال القادمة الشعور بمسؤولية خدمة الأمة، والشعور بالأمانة والشرف والنبيل. وينبغي لنا أيضا أن نتأكد من أنهم قادرون على أداء واجبهم على أحسن وجه في المجالات الاقتصادية المختلفة للبلاد، وذلك من شأنه أن يزيد من شرف البلاد ومجده وشموخه".

(رسالة إلى مؤتمر تعليمي باكستاني، كراچي، ٢٧ نوفمبر ١٩٤٧م)

الوحدة والاتفاق بين البلدان الإسلامية:

"... أنا أقدم رسالة الصداقة والحب والخير لإخواننا في البلدان الإسلامية. فنحن جميعا في هذه الأيام نمر بمرحلة خطيرة. وأحداث الصراع السياسية التي تقع في إندونيسيا وفلسطين وكشمير في هذه الأيام توجب علينا أن نفتح أعيننا تجاهها وأن نعرف حقيقتها. نحن لا نستطيع أن نجعل صوتنا مؤثرا في مجلس أقوام العالم إلا عن طريق الوحدة والاتفاق فيما بيننا وبالوقوف في صف واحد".

(رسالة بمناسبة العيد، ٧ أغسطس ١٩٤٨م)

اللغة الأردية:

"إن ملايين المسلمين في شبه القارة قد اهتموا بالغ الاهتمام باللغة الأردية، فهي اللغة التي تفهم في جميع أنحاء باكستان. وفوق ذلك هي اللغة التي تعكس حضارة الإسلام وأفكاره وتعبر عنها أكثر من أي لغة إقليمية أخرى. وهي لغة أقرب إلى لغات المسلمين الأخرى مقارنة باللغات الإقليمية".

(خطاب في حفل توزيع الشهادات بجامعة دُهاك، ٢٤ مارس ١٩٤٨م)

باكستان اسم للنجاح الفكري والأخلاقي:

"لما لا شك فيه أننا قد حصلنا على دولتنا باكستان من غير أن نخوض في معارك قاتلة سافكة للدماء، ولكن عن طريق استخدام الطرق الأمنية من قوى الفكر والأخلاق، وقوة القلم التي لا تقل أهمية وطاقة من قوة السيف. إننا قد نجحنا في تحقيق هدفنا، فهل من المعقول أن نلوث سمعة هذا النجاح الذي لا نجد له مثيلا في التاريخ؟ إن باكستان اليوم حقيقة لا يمكن لأحد محوها. وهذا كان هو الحل الوحيد

العادل المنصف والقابل للعمل لأكبر مسألة دستورية لشبه القارة الهندية.

هيا بنا لنعمر بلادنا ونبعث الروح الجديدة في نفوس شعبنا العظيم. وقد آن الأوان لكل مسلم أن يؤدي واجبه بأحسن صورة وأن يعمل بكل ما في وسعه ويضحى بكل ما لديه ليجعل باكستان في صفوف الأقوام والبلدان المتقدمة العظيمة. وذلك كله بأيديكم أنتم! لا شك أن لدينا إمكانيات وصلاحيات للسعي والعمل وباكستان غنية بالإمكانيات والوسائل المادية. إن الله تعالى قد أنعم علينا بجميع أنواع الموارد الطبيعية، وفي أيدينا الآن استعمالها بأحسن طريقة".

(٣١ أغسطس ١٩٤٧م)

نظام الإقطاع هو طريق لاستغلال الشعب:

"أود أن أهدر أصحاب العقارات والإقطاعات وأصحاب رؤوس الأموال الذين يستغلون كل الاستغلال ويربحون أقصى الربح عن طريق الإضرار بنا. وذلك على أساس نظام خبيث لا يأتي إلا بالإيذاء للشعب، فهذا النظام هو الذي جعلهم أنانيين لدرجة أنه لا يمكن إقناعهم إلا بصعوبة كبيرة. إن استغلال الشعب يجري منهم مجرى الدم. لا شك أن هؤلاء قد نسوا تعاليم الإسلام العظيمة وهجروها".
(خطاب رئاسي للاجتماع الثلاثين لحزب الرابطة الإسلامية لعموم الهند، ٢٤ إبريل ١٩٤٣م)

ج- نبذة عن حياة القائد الأعظم:

"ولد محمد علي جناح يوم 25 ديسمبر عام 1876م في محلة الوزير في كراچی، وكان الولد الأكبر لليونجا جناح، وهو تاجر ميسور الحال، قدمت أسرته أصلاً من إيران واستقر بها المقام في كراچی بين تجارها. شرع جناح سنة 1882م بالتعلم أولاً في كراچی، وتيسر له زيارة أكثر من مدينة هندية لا سيما بومبي، ومن خلال الوسط التجاري لأسرته تيسر له سنة 1892م الذهاب إلى إنكلترا للتدرب على إدارة الأعمال لدى شركة غراهام للملاحة والتدريب في لندن، ولكنه قرر بعد وقت وجيز عدم متابعة تدريباته هذه، وانصرف نحو دراسة المحاماة، حيث تخرج سنة 1895م من مؤسسة لنكنز إن (Lincoln's Inn) المعروفة، فكان بذلك أصغر طالب هندي التحق بحقل هذا الاختصاص.

وعاد سنة 1896م إلى كراچی حيث شرع عمله في ميادين المحاماة في محاكم المدينة، وانجذب وقتذاك إلى حركات التحرر الهندية، ولا سيما ما قاده دادا بهائي نوروحي وگوپال كريشنا گوبهالي، وكان آنذاك من أبرز قادة حرب المؤتمر الهندي الوطني.

وانتقل في سنة 1897م إلى مدينة بومبي، وعمل سنة 1900م مؤقتاً بالقضاء في بومبي، لكنه ما لبث أن عاد إلى ممارسة عمل المحاماة، وقد علا نجمه في نطاق عمله، واتسعت شهرته في أوساط

السياسة والحياة الاجتماعية.

وجرى في عام 1907م انتخابه نائباً لرئيس التجمع الإسلامي الذي تشكل نتيجة لاجتماع عقد في كلكتة للعمل مع التجمعات الأخرى في سبيل صالح شعوب الهند في المجالات السياسية والاقتصادية، والاهتمام بشكل خاص بمشاكل المسلمين ورفع الحيف عنهم وحماية مصالحهم ووجودهم، ولنشاطه وتميزه جرى اختياره في فبراير من السنة نفسها، عضواً في اللجنة التنفيذية في جمعية ضياء الإسلام في بومبي.

وحضر في عام 1909م اجتماعاً جماهيرياً واسعاً عقدته جمعية ضياء الإسلام، وقدم وقتها اقتراحاً بعقد مشاورات بين قادة المسلمين من أجل استصدار قانون يتعلق بقيام المسلمين بالانتخابات منفردين وتمييزين عن الهندوس.

واختير في عام 1910م عضواً في الهيئة الحكومية العامة (المجلس القانوني الإمبراطوري) للمقعد المحفوظ لمسلمي بومبي، وشارك في 1911م مؤتمر الوحدة الإسلامية الهندوسية الذي عقد في إله آباد، وحضر في عام 1912م اجتماعاً للرابطة الإسلامية عقد برئاسة الآغا خان، لمناقشة تبنى حكومة حكم ذاتي موائمة للهند وذلك كهدف من أهداف الرابطة.

وفي اليوم السابع من فبراير 1915م اختير عضواً في الرابطة الإسلامية، وافتتح يوم 13 فبراير اتحاد طلبة مسلمي بومبي، وحض الطلبة المسلمين وقتها على تطوير نظام حياتي وأخلاقي، وأن يشاركوا في السياسة دون التورط في النزاعات السياسية، وتوجه في نوفمبر بالدعوة إلى قادة المسلمين وإلى الشعب المسلم معاً للانضواء تحت راية رابطة مسلمي عموم الهند في سبيل إيجاد جبهة موحدة وللحفاظ على السلم مع الأصدقاء الهندوس.

وانتخب في عام 1923م بالإجماع وبلا معارضة من قبل مسلمي بومبي ليمثلهم في المجلس التشريعي الإمبراطوري، وكان قد ترشح مستقلاً بدون انتماء إلى حزب معين.

وترأس في عام 1924م الاجتماع السنوي لرابطة مسلمي عموم الهند الذي عقد في لاهور، وأعيد وقتها انتخابه رئيساً للرابطة بدون معارضة، وكان معنى هذا قيادة الرابطة لثلاث سنوات مقبلة. ولدى مشاركته لاجتماع الرابطة في بومبي في ديسمبر من السنة نفسها تبنت الرابطة قراراً اقترحه بتشكيل لجنة تتولى صياغة مطالب المسلمين فيما يتعلق بتمثيل المسلمين في المجالس التشريعية وهيئات الخدمات العامة.

وترأس في إبريل 1927م المؤتمر الإسلامي الذي عقد في دلهي حيث تحددت مطالب المسلمين النهائية. وحضر في ديسمبر من العام نفسه الاجتماع السنوي لرابطة مسلمي عموم الهند الذي عقد في كلكتا، وطالب هذا الاجتماع أيضاً بوجود مشاركة المسلمين بالمساواة في شأن تكوين إطار المستقبل

الدستوري للهند.

وحضر في ديسمبر عام 1928م في كلكته اجتماعاً لجميع الأحزاب الهندية، وجاء حضوره ممثلاً لأربع وعشرين من الأعضاء القيايين للرابطة الإسلامية. وفي ديسمبر من السنة نفسها، عقد اجتماع للرابطة الإسلامية في إله آباد، وقد تحدث العلامة إقبال في الاجتماع فامتدح خدمات جناح والقادة المسلمين الآخرين في مؤتمر الطاولة المستديرة، وعرض فكرة إقامة دولة إسلامية في شبه القارة في جنوبي آسية. وأخبر لجنة البناء الفدرالي لشبه القارة في اجتماعها الثاني والخمسين الذي عقد في نوفمبر عام 1931م في لندن: "إنكم ما لم تقدموا الضمانات للمسلمين بإعطائهم شعوراً تاماً بالأمن وشعوراً بالثقة بالدستور المقبل للهند، وما لم تضمنوا تعاونهم ورضاهم لا يمكن لأي دستور تشكلونه للهند أن يعمل لمدة أربع وعشرين ساعة".

وفي فبراير عام 1934م، وعلى الرغم من غيابه خارج بلاده جرى ترشيحه ليمثل مسلمي بومبي في المجلس التشريعي المركزي، وأعيد انتخابه في مارس رئيساً لرابطة مسلمي عموم الهند، وعاد في إبريل إلى الهند حيث استقبل بحماس منقطع النظير، وقد تحدث في تلك المناسبة فطالب بالوحدة بين التنظيمات الإسلامية لمواجهة الحكومة بمطالب موحدة.

وفي يناير عام 1935م انتخب عضواً بالمجلس التشريعي المركزي، وذلك من قبل مسلمي بومبي. وأعلن لدى مشاركته بالاجتماع السنوي للرابطة الإسلامية الذي عقد في إبريل من عام 1936م في بومبي: أن قيام حكم ذاتي مسؤولة في الهند هو هدف الرابطة، وقررت الرابطة مقاطعة الانتخابات المقبلة، ثم أعلن في مؤتمر جمعية العلماء الذي عقد في دلهي أن ثمانين مليوناً من المسلمين كانوا جاهزين للقتال في سبيل الحرية، وطالب المسلمين بمزيد من الوحدة، ثم قام في أغسطس بزيارة البنغال حيث قابل كبار القادة المسلمين.

وسأل ممثل الحكومة في المجلس في سبتمبر حول حقيقة "إصدار حكومة صاحب الجلالة بياناً تهدد فيه بإعلان الأحكام العرفية وبارسالها القوات إلى فلسطين" وقال: على الحكومة أن تأخذ بعين الاعتبار مشاعر المسلمين، التي عبروا عنها بالاجتماعات العامة التي عارضت إرسال القوات إلى فلسطين وقال محذراً: "هل حكومة الهند على بينة بأن بريطانيا العظمى تمارس باسم الانتداب سياسة مدمرة ضد العرب؟" وانتقد في إبريل 1937م مؤامرات حزب المؤتمر ضد وحدة المسلمين، وحذر من العمل على إحداث الفوضى بين صفوفهم. وحين ترأس في أكتوبر اجتماع الرابطة الإسلامية في لكنو، وعد بالعمل على تحسين أوضاع المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وطالب المسلمين بالانخراط بالمئات والآلاف

في الرابطة، وانتقد سلوك وزراء حزب المؤتمر تجاه المسلمين في أقاليم الأكرثية الهندوسية، وقرر الاجتماع أن هدف رابطة مسلمي عموم الهند استقلال كامل داخل الهند على شكل دول ديموقراطية مستقلة داخل فدرالية تضمن دساتيرها حقوق الأقليات ومصالحها".

ثم تحدث القائد الأعظم محمد علي جناح عن القضية الفلسطينية، فقال: بأنها حركت مشاعر المسلمين وأثارتهم بشدة في جميع أنحاء الهند ثم قال: "كانت السياسة البريطانية برمتها خيانية نحو العرب من منطلقاتها، وأقول بكل صراحة للحكومة البريطانية إنها ما لم تقم بإيجاد حل عادل للمشكلة الفلسطينية، بكل مسؤولية وشجاعة فإن ذلك سيكون مدمراً للإمبراطورية البريطانية ونقطة تحول في تاريخها، وستكون حكومة بريطانيا كمن يحفر قبره بيده إذا لم تقم بالوفاء بالوعود التي قطعتها للعرب قبل الحرب وبعدها، وسيقف المسلمون الهنود بكل إصرار وقوة إلى جانب العرب وسيقدمون المساعدات لهم في كل سبيل ممكن في نضالهم العادل والشجاع ضد جميع الأعداء".

وقام في يناير 1939م بالإعلان بأن حزب المؤتمر لا يمثل جميع الهنود، و فقط الرابطة الإسلامية هي التي تمثل المسلمين، وطالب حزب المؤتمر بالاعتراف بهذه الحقيقة والتفاوض على أساسها، كما وأرسل برقية إلى رئيس وزراء انكلترا وإلى السيد مكدونالد وزير الدولة البريطاني لشؤون الهند طالبها بدعوة الرابطة الإسلامية للمشاركة في مؤتمر فلسطين، وأن تستجيب بريطانيا للمطالب القومية العربية في فلسطين، وأعلمها بأن مسلمي الهند على غاية من الاضطراب والقلق بانتظار النتائج، وحذرهما من أن إخفاق المؤتمر ستعكس نتائجه بشكل مأساوي خلال العالم الإسلامي بأكمله، لذا يتوجب أخذه بعين الاعتبار بكل جد وأمانة.

وبعد أمد وجيز وجه رسالة إلى نائب الملك طالبه فيها بإعادة النظر بقانون 1935م، والتعهد بأن ما من خطوة تتخذ بدون موافقة قيادات الهندوس وقيادات المسلمين، وبضرورة الاستجابة للمطالب العربية والفلسطينية، وألا تستخدم أية قوات هندية خارج الهند ضد القوى الإسلامية والدول المسلمة، وأجابه نائب الملك وشكره على رسالته ووعدته بأخذ المسائل التي أثارها بعين الاعتبار والاهتمام بها، وأن الحكومة لن تقدم على اتخاذ أي إجراء بدون التشاور مع المسلمين.

وكانت نشاطاته في عام 1940م حاسمة، فبعدها انتقد نظريات غاندي وسياساته وتصرفاته، وبعد الاقتناع باستحالة التفاهم مع حزب المؤتمر الهندوسي، ترأس في 22-24 مارس في لاهور اجتماعات الرابطة الإسلامية، وفي ذلك الاجتماع تم تبني قرار "حل باكستان" واعتباره الهدف المنشود لمسلمي الهند، وطالب المسلمين بالاعتماد على الذات وقال: "إنه لحلم رؤية المسلمين والهندوس وهم يعملون في سبيل

هدف قومي موحد ... ينتمي كل من المسلمين والهندوس إلى ديانتين مختلفين، ولكل منهم فلسفاته وعاداته الاجتماعية وآدابه"، وطالب في 31 من الشهر نفسه الهندوس والسيخ أن ينظروا بجدية نحو موضوع تقسيم الهند، وقد تمحورت نشاطاته خلال هذا العام حول موضوع قيام باكستان، ومطالبة حزب المؤتمر بالاعتراف بهذا المطلب وقبوله، وأنه بدون ذلك لن تنال الهند استقلالها.

وزاد محمد علي جناح نشاطاته في عام 1941م، وتركزت جميعها باتجاه إقامة باكستان، وآتت هذه الجهود أكلها حيث باتت باكستان حقيقة مقبلة، ينبغي التخطيط لها داخليا وخارجيا والتصدي للمؤامرات التي قد تتعرض لها.

ومع أن محمد علي جناح زادت مشاغله في عام 1945م ومتاعبه، لكن هذا لم ينسه فلسطين فكتب إلى السيد أتلي رئيس وزراء بريطانيا يطلب منه أن يوضح سياسة حزب العمال نحو فلسطين، وحذره من تحدي مشاعر المسلمين في الهند.

وتوقف في 19 سبتمبر في القاهرة وهو في طريق عودته من لندن إلى الهند، وهناك التقى بعدد من القياديين المصريين كما التقى بالحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين، وناشد المسلمين في مصر وبلدان الشرق الأوسط بتقديم المساندة لمسلمي الهند في نضالهم من أجل الاستقلال، وقال في مؤتمر صحفي عقده في القاهرة: "إذا ما أقيمت إمبراطورية هندوسية فذلك سيضع نهاية للإسلام والمسلمين في الهند، لا بل حتى في بلدان أخرى، ولا شك أن ما يربطنا بمصر روحياً ودينياً لا يمكن فصمه، وإذا ما غرقنا نحن فسنغرق جميعاً".

وكان قد تلقى رسالة شكر من الإمام يحيى ملك اليمن على موقف باكستان من القضية الفلسطينية وتأييدها للصالح العربي فكتب إليه يقول: "أشاركك يا صاحب الجلالة تماماً في دهشتك وغضبك نحو انعدام العدالة الذي أبدته منظمة الأمم المتحدة، بقرارها غير العادل حول فلسطين، وأؤكد كذلك ثانية وللإخوة العرب بأن باكستان ستقف إلى جانبهم وستبذل كل ما يمكن لتأييدهم ومساعدتهم في معارضتهم لقرار الأمم المتحدة الذي هو ظالم وعدواني".

ولقد كان عام 1947م عام الفصل في نضال محمد علي جناح، ففي هذا العام قامت دولة باكستان بشكل رسمي وفعلي. وفي الخامس من يوليو أرسل لياقت علي خان، أمين عام الرابطة الإسلامية رسالة إلى نائب الملك يوصي بها باسم الجبهة تعيين جناح حاكماً عاماً لباكستان، وأن توافق الحكومة البريطانية على هذا التعيين، واستجابت لندن لطلب الرابطة واحتفل بذلك يوم 7 يوليو، وفي 15 يوليو غادر محمد علي جناح نيو دلهي ومعه أركان حكومته وتوجه إلى كراچي، وقبل سفره وجه الشكر إلى الذين قدموا التهنئة له بقيام دولة باكستان كما قال: "لا بد من دفن الماضي ودعونا نبدأ كدولتين مستقلتين هما:

باكستان وهندوستان، وأتمنى لهندوستان التقدم والسلام".

وفي 12 أغسطس اقترح لياقت علي خان على المجلس التشريعي لباكستان إصدار قرار بإضفاء لقب "القائد الأعظم" على محمد علي جناح.

وواجه محمد علي جناح المشاكل التي نجمت عن قيام باكستان، حيث تدفق المسلمون عليها بالملايين من الأقاليم الهندية، وقامت بعض الاضطرابات كما وتفجرت مشكلة كشمير، ومع هذا كله، وعلى الرغم من تدهور صحة محمد علي جناح تابع تحمل مسؤولياته، ومرّ العام الأول الحاسم في حياة الدولة الجديدة، وعلى الرغم من هذا كله لم يتخل عن اهتماماته بقضية فلسطين، وقد صرح في 25 أكتوبر لمدوب وكالة رويتر بقوله: "ما زلت أمل برفض خطة تقسيم فلسطين، وإلا سيكون هناك فواجع هائلة وصراعات لا مثيل لها ليس فقط بين العرب وبين من سيتولى فرض خطة التقسيم، بل إن العالم الإسلامي بأسره سيثور ضد مثل هذا القرار، الذي لا يمكن تأييده تاريخياً، أو سياسياً أو أخلاقياً، وفي تلك الحالة ليس أمام باكستان من خيار سوى تقديم المساعدات الكاملة للعرب، وستفعل ما بقدرتها لإيقاف التقسيم، وأنا شخصياً أشعر بمنتهى الغضب".

وإثر هذا قام في الثامن من ديسمبر بتوجيه برقية احتجاج إلى الرئيس الأمريكي هنري ترومين (Henry S. Truman)، لقرار الأمم المتحدة بفرض خطة التقسيم على فلسطين.

وبالنظر لتزايد الأعباء على محمد علي جناح ولأسباب أخرى بدأت صحته بالتدهور بشكل سريع، وأصابه الشحوب والنحول، وبات وزن جسده يتناقص يومياً بشكل منذر، ونقل في يوم 11 سبتمبر 1948م إلى كراچي، حيث لم يلبث أن انتقل إلى جوار ربه، ودفن في اليوم التالي بتشريف عظيم في كراچي بعد أن صلى عليه مع جموع من المسلمين شيخ الإسلام مولانا شبير أحمد عثمان الذي وصفه بأنه أعظم قادة المسلمين في الهند بعد أورنگ زيب. وأعلن الحداد الرسمي عليه لمدة أربعين يوماً في جميع أرجاء باكستان.

وشارك بالتعزية به قادة العالم وتحدثوا عن مزاياه في برقياتهم، فوصفه عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية بأنه كان "واحدًا من أعظم القادة في العالم" واعتبره الآغا خان أعظم شخصية قابلها في حياته، وحتى بعض قادة الهندوس أشادوا بمزاياه ورأوا فيه "أعظم شخصيات عصره لا في الهند فقط بل بالعالم أجمع"، وقال اللورد بيتك لورنس وزير الدولة البريطاني لشؤون الهند سابقاً:

"سيحتفظ التاريخ بمكان عظيم له في حواريته التي فيها أخبار الجنس البشري"⁽³⁾.

-3 لقد نقلنا المعلومات التفصيلية عن حياته والتطورات السياسية التي مرّ بها محمد علي جناح من مصدر عربي معاصر، انظر: الأستاذ سهيل زكار، القائد الأعظم محمد علي جناح، مؤسس باكستان: خطب وبيانات ورسائل، طبعة دمشق، 1415هـ/1994م.